Sri Lankan Journal of Arabic and Islamic Studies, 3(2) 2020
Published by Faculty of Islamic Studies and Arabic Language, ISSN: 2550:3014
Received: 30th March 2019/Accepted: 6th November 2020

الإمام ابن جرير الطبري رائد المنهج الجامع لتفسير القرآن الكريم

IMAM IBN JARIR AL- TABARI: THE PIONEER OF THE HOLISTIC METHOD TO QUR'ANIC INTERPRETATION

Md. Ershadur Rahaman[1]

[1]Department of Quranic Sciences and Islamic Studies, International Islamic University Chittagong, Bangladesh
alershad_71@yahoo.com

Abstract

Tafsir or Interpretation of the Holy Qur'an is one of the most magnificent sciences introduced by the Prophet Muhammad (Peace be upon him) and developed further in successive generations by Qur'anic experts. Specialists developed specific methods for explaining the Qur'an, opting for either a linguistic or narrative-style approach. It was not until of the third-century Hijra, when Imam Ibn Jarir al-Tabari, a renowned figure of Qur'anic commentary, would combine both of linguistic and narrative-style approach to tafsir science, introducing a comprehensive and holistic methodology. Al-Tabari applied this method in his magnum opus Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān. This study looks at al-Tabari's methodology as applied in Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān.

Keywords: *Qur'anic interpretation, Comprehensive Method, Ibn Jarir al -Tabari, Narrative Trend.*

ملخص:

علم التفسير علم شريف عظيم. لأن حقله كلام الله القديم. ولا كلام أشرف من كلام الله. ونشأ علم التفسير على يد رسول الله –صلى الله عليه وسلم لأن الله كما أنزل القرآن عليه وأرسله مبلغا ومبينا له أيضا. ثم تطور تفسير القرآن الكريم بعد الرسول –صلى الله عليه وسلم– من خلال المنهجين وهما الاتجاه الأثري والاتجاه اللغوي. وهناك كان نوع من المنازعة والمشاكسة بين أصحاب هذين الاتجاهين مما منع تقدم التفسير تقديما واسعا. حتى جاء الإمام ابن جرير الطبري الذي فتح آفاقا جديدة لتفسير القرآن بتقديم المنهج الجامع مما دفع التفسير إلى التقدم الهائل. يهدفُ هذا البحث إلى تجلية "المنهج الجامع" لتفسير القرآن الكريم، الذي أسسه محمد بن جرير الطبري، وأصبح رائدا لهذا المنهج الذي يشتمل على الاتجاه الأثري والاتجاه اللغوي والاتجاه العقلي عن طريق الاجتهادات والاستنباطات الخاصة للمفسرين. لأن المفسر لشرح القرآن الكريم كما يحتاج إلى اللغة ويتطلب أيضا إلى الروايات الصحيحة بجانب تقديم

العقل للترجيح بين الأقاويل المأثورة. وقد أحرز الطبري شهرة واسعة بهذا المنهج في تفسيره "جامع البيان في تفسير القرآن". والبحث يسير على المنهج الاستقرائي، يحتوي على استقراء دقيق عن حياة الطبري ومنهجه في تفسيره، وتنظيم وتنسيق للمعلومات المتوافرة في قالب معين للتوصل إلى نتيجة علمية دقيقة وثمرة تربوية هادفة. وتوصل البحث إلى النتائج التالية: إن الإمام الطبري هو رائد المنهج الجامع لتفسير القرآن الكريم، واعتمد في تفسيره على القرآن الكريم والقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية والإسرائيليات. والأسس المنهجية التي يقوم عليها المنهج الجامع للطبري، الذي ساهم في إرساء أسس النظر الفكري في الموروثات والآثار التي يعتمدها التفسير بالمأثور، وكما بدأت تبعا لهذا المجهود أسس اعتماد التفسير بالرأي تتّسع وتتعاظم. والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه نافعاً به.

الكلمات المفتاحية: الإمام الطبري – تفسير القرآن الكريم – التفسير الأثري- المنهج الجامع.

المقدمة

الحمد الله الذي لا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

والصلاة والسلام غلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي هذا البحث المتواضع سنحاول الوقوف على منهج إمام التفسير ورائد المنهج الجامع لتفسير القرآن الكريم، وهو أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري، من علماء الأمة المسلمة المعتبرين والمعتمدين، عاش في القرن الثالث من الهجرة، الذي كان فقيهاً عالماً، براع في علوم كثيرة؛ كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغيرها من العلوم؛ التي أجاد فيها وأفاد وإن السمة البارزة التي ميزت الطبري في "جامعه" هو منهج واضح . لأنه اعتمد أساساً على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صحابته الكرام، أو التابعين.

ومن المعلوم قد سبق الإمام الطبري الاتجاهان البارزان لتفسير القرآن الكريم، اتجاه التفسير الأثري واتجاه التفسير اللغوي. فأصحاب التفاسير اللغوية لم يذكروا الأقوال المأثورة في التفسير إلا القليل، وأصحاب التفاسير الأثرية لم يتعرضوا المسائل اللغوية والبيانية إلا النادر. كما أن الاتجاهين لم يقدما اجتهاداتهم واستنباطاتهم. ثم جاء الإمام الطبري جمع بين الاتجاهين الأساسين، وأضاف لهما استنباطاته وترجيحاته. فأصل فيه الطبري منهجا متفردا، الذي سماه الباحثون المعاصرون "المنهج الجامع" في التفسير.

فالبحث يتناول موضوع المنهج الجامع لتفسير القرآن الكريم الذي ابتكره ابن جرير الطبري معرضا حياته الشخصية والعلمية، مبينا تعريف كتابه ومصادره، ومنهجه الذي سلكه في تفسيره المشهور.

أهداف البحث

أما الأهداف التي يهدف البحث الوصول إليها فهي:

- الاطلاع على ترجمة الإمام ابن جرير الطبري وشخصيته العلمية الموسوعية مما أهلته تأليف تفسير القرآن الكريم.
- الوقوف على المصادر التي اعتمد عليها المفسر لكتابة تفسيره الجليل.
- تسليط الضوء على المنهج الجامع اتبعه الإمام ابن جرير الطبري لأول مرة في مسيرة التفسير التاريخية مما جعل تفسيره فريدا في حقول التفسير.

منهج البحث

- اكتشاف المنهج: سيحاول البحث اكتشاف المنهج عن طريق الاستقراء بتتبع الجزئيات للوصول إلى الحكم الكلي.
- تحليل البيانات: سيتم شرح البيانات بمنهج التحليل والمقارن.
- مصادر البيانات: سيحيل الدارس البيانات والمعلومات المأخوذة للوصول إلى النتائج المنشودة إلى مصادرها الأصلية والثانوية حسب مناهج البحث.

1. حياة الإمام الطبري وآثاره العلمية

1.1 اسمُهُ ونَسبُه :

اسمه: هو :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي(سلقيني،2001م).وكُنْيَتُه : أبو جعفر؛ عربي الأصْل، ولم يكن له ولد اسمه جعفر، لأنه لم يتزوَّج أصلاً، وإنما تكنَّى بِهِ التزامًا بآداب الشرع والسنَّة الشريفة. نسبته :الطَّبَرِي نسبة إلى "طَبَرِستَان (ياقوت الحموي،1993م،ص.14)".أما عروبة النسب فعليها الأكثرون، وإن ذهب المستشرق بروكلمان إلى أنه أعجمي النَّسب، لنسبته إلى طبرستان ، إقليم من أقاليم بلاد فارس .

1.2 مولده ونشأته

وُلدَ الطبري سنة 224هـ (839م) في مدينة "آمل"(العماد العكري،1986م) من مدن محافظة مازندران الإيرانية، والتي كانت تسمى قديماً طبرستان. نشأ الطبري بآملحتى بَلَغَ أشُدَّه، وتربى في أحضان والده وغمره برعايته، وتفرس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم فتولى العناية به ووجَّهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، كما هي عادة المسلمين في مناهج التربية الإسلامية" (الزحيلي،1999م،ص31). فتمتع الإمام الطبري بمواهب فطرية متميزة، جبله

الله الكريم عليها، وتفضل عليه بها، كما حفلت حياته بمجموعة من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، والسيرة المشرفة.

1.3 تنقله ورحلاته العلمية

جاء في الأثر: "اثنان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال"؛(الدارمي،1988م،ص56) وصَدَقَت هذه الفراسة في الإمام الطبري. لقد أضحى كمن يشرب من ماء البَحْر، كلما شرب ازداد عطشًا. وهذا العطش والظمأ إلى المزيد من العلم والمعرفة دفعه إلى الخروج من دائرة "طبرستان" إلى آفاق الأقطار والأمصار المختلفة، فطاف في عدة بلدان منها بغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر، واستقى العلوم والمعارف من هذه المدن الشهيرة، ثم استقر واستوطن بغداد حتى وفاته.

1.4 وفاة الطبري رحمه الله:

بقي الإمام الطبري مستوطنا بغداد في آخر حياته، حتى أسلم الروح إلى بارئها تعالى يوم السادس والعشرين من شهر شوال سنة 310 هـ في عصر الخليفة المقتدر بالله، ودفن الطبري في داره الكائنة بـ رحبة يعقوب بـ بغداد.(ابن خلقان،1948م) قال الخطيب: "واجتمع عليه (حال الجنازة) من لا يحصيهم عددًا إلا الله، وصُلِّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب".(الخطيب البغدادي،1967م،ص166)

1.5آثاره العلمية:

إن الإمام ابن جرير الطبري يحتل المكانة الأولى في سلم التصنيف لعلماء الأمة، ويعتبر رائد علمي التفسير والتاريخ في الإسلام، وعلى منواله نسج من جاء بعده. ولم تقتصر علوم الإمام الطبري وآثاره على علم واحد، بل خاض –رحمه الله– ميدان مختلف العلوم الشرعية واللغوية وكان في كل منها إمامًا ومقدمًا. فمن أشهر مصنفاته وآثاره العلمية التي ذكرها المترجمون والمؤرخون:

جامع البيان على تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، الخفيف في أحكام شرائع الإسلام مختصر كتاب، بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، تهذيب الآثار، وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار (المعروف بشرح الآثار)، ومختصر مناسك الحج، ومختصر الفرائض في أنصبة المواريث. هذا العدد من المؤلفات

والمصنفات التي خلفها الإمام الطبري قد هال الناس، فدهش الخطيب البغدادي وقال: "وسمعت عليّ بن عُبَيد الله بن عبد الغفار اللغوي السمسمي يحكي: أن " محمد بن جرير الطبري مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة". (الخطيب البغدادي،1967م،ص165)

لذلك احتل تفسير الطبري سويداء القلب عند العلماء على مر العصور في القديم والحديث، وحظي بالرعاية والعناية، وأثنى عليه الأئمة والعلماء والمؤرخون والمفسرون، وسطروا الجمل المذهبة حوله، وعلقوا عليه أوسمة الفخار. قال عنه الإمام النووي: "لم يصنف أحد مثله".(النووي،2002م،ص78) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا...". وقال أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي".(ابن تيمية،1408هـ،ص361) وقال مؤرِّخ الإسلام الذهبي: "وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله".(الذهبي،1978م،ص270) وقال عنه القفطي: "وصنف التصانيف الكبار، منها تفسير القرآن الذي لم يُرَ أكبر منه، ولا أكثر فوائد".(القفطي،1982م،ص89)

2. تعريف "جامع البيان" للإمام الطبري ومصادره

2.1 تعريف الكتاب " جامع البيان عن تأويل آي القرآن ":

يعتبر تفسير الطبري أقدم التفاسير أشهرها، فقد نّوّه به العلماء قديما وحديثا، لما اجتمع فيه من تفسير بالمأثور وحسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على اللغة والشعر العربي. وهو تفسير عظيم القيمة، لا غنى لطالب التفسير عنه، قال السيوطي: "وكتابه –يعنى تفسير محمد بن جرير– أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين".(السيوطي،2014م ص 35) شرع الإمام الطبري في كتابة تفسيره سنة 283هـ، وألفه في ثماني سنوات، حيث أتمه سنة 290هـ.(الزحلي،1999م) والكتاب في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وقد كان مفقوداً إلى عهد قريب، ثم قدر الله له الظهور حين وجدت نسخة مخطوطة في حيازة أمير (حائل) الأمير حمود بن عبد الرشيد من أمراء نجد، طبع عليها الكتاب منذ زمن قريب، فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية في التفسير بالمأثور.

2.2مصادر الطبري في التفسير

إن القول في تفسير كتاب الله تعالى، ليس متروكاً لكل واحد من المؤمنين، بل لا بد من توافر خصائص معينة ومصادر للمفسر تعينه على فهم مراد الله، فاعتمد الطبري على مصادر عديدة في تفسيره القرآن الكريم ، ومن مصادره ما يلي:

2.2.1 القرآن الكريم:

نجده في بعض المواضع يفسر القرآن بالقرآن وهذا يدل على أحد خصائصه وهي تمكنه من القرآن الكريم. ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[يونس:7]قال الإمام الطبري في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيا واطْمأَنُّوا بِها) قال: هو مثل قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود : 15]".(الطبري،1977م،ص116)

2.2.2 القراءات القرآنية:

ونظراً لأن الإمام الطبري ولد في القرن الثالث سمع من شيوخه قراءات كثيرة؛ لذا نجد كثيراً من القراءات التي اعتمد عليها ابن جرير . رحمه الله تعالى . لم تصل إلينا إلا من خلال مروياته، وبعضها وصل من طريق الآحاد والبعض اليسير كان من القراءات المتواترة المشهورة. وهذه أمثلة عليها: قوله تعالى ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:12]. قال الإمام الطبري: (نَرْتَعِ) قال: يحفظ بعضنا بعضا، نتكالأ." وقراءة "نرتع ونلعب" قراءة صحيحة، قرأ ابن كثير الداري بالنون فيهما مع كسر العين من غير ياء، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما مع سكون العين".(الطبري،1977م،ص208)

2.2.3 الحديث:

إن اعتماد ابن جرير الطبري في تفسير كتاب الله على الحديث النبوي الشريف واضحاً جلياً. مثل ما ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة:69]. قال: قال صلى الله عليه وسلم : "وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعا بذِرَاعٍ، وَباعا بباعٍ حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ} قالوا: وَمن هم يا رسول الله، أهل

الكتاب؟ قال: {فمن فَمَهُ؟}." (الطبري،1977م،ص225)عن ابن جرير الطبري أيضا ، قوله: (كالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ).... الآية. قال: قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة (كالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضبّ لدخلتموه"[1].(الطبري،1977م،ص225)

2.2.4 السيرة :قد لجأ الطبري إلسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره للقرآن الكريم عليها. ونمثل لذلك بما يلي: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:95]، فقال الطبري: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال: كانوا ثمانية هم الوليد ابن المغيرة، والعاص بن وائل، وعديّ بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، مرّوا رجلاً رجلاً على النبيّ ومعه جبرئيل، فإذا مرّ به رجل منهم قال جبرئيل: كيف تجد هذا؟ فيقول: {بئس عدوّ الله} فيقول جبرئيل: كفاكه. كلهم مات قبل بدر.". (الطبري،1977م،ص98)

2.2.5 الإسرائيليات:

انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ "." (العسقلاني،1407هـ،ص572) اتجه كثير من المفسرين إلى الأخذ بالقصص والروايات الإسرائيلية، كما فتح الباب عند بعض علمائنا لينهلوا من الإسرائيليات دون تميز فأخذوا يروون ما يعارضه العقيدة الصحيحة وما توقف فيه القرآن فلم يصدقه ولم يكذبه، ورووا كذلك ما يصدقه القرآن ، فنرى الإمام الطبري روى في تفسيره هذه الأصناف الثلاثة من الإسرائيليات. فذكر ما يصدقه القرآن مثل قصة بني إسرائيل في تماريهم بعيسى عليه السلام بعد أن رفعه الله إليه(الَّذِي فيهِ يَمْتَرُونَ) ، قال الإمام الطبري: اختلفوا، فقالت فرقة: هو عبد الله ونبيه، فآمنوا به. وقالت فرقة: بل هو الله. وقالت فرقة: هو ابن الله. تبارك وتعالى عما يقولون علوّا كبيرا".(الطبري،1977م،ص105)

وأورد ما توقف فيه القرآن: في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ [الكهف:18] فقال الطبري: قلت" لرجل من أهل العلم زعموا أن كلبهم كان أسدا قال لعمرالله ما كان أسدا ولكن كان كلبا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له قطمر".(الطبري،1977م،ص625)

كما ذكر ما يكذبه القرآن: في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24] فقال الطبري :" ما بلغ من همّ يوسف؟ قال: استلقت له، وجلس بين رجليها".(الطبري،1977م،ص240)

3. المنهج الجامع لتفسير القرآن الكريم

3.1 منهج ابن جرير لتفسير القرآن الكريم

وإذا كان التفسير المراد منه لغة الإيضاح والتبيين فلابد له منهج يسير فيه المفسر لبيان المراد من كلامه سبحانه في حدود النص القرآني، والمنهج "هو الطريق الواضح والمراد منه اصطلاحاً مجموعة القواعد والضوابط التي توصل إلى نتائج أو طريقة كل مفسر في تفسير القرآن الكريم".(السبحاني،2014،ص73) فالطبري- بلا منازع- أُعتبر أبًا للتفسير، بَلْ شيخ المفسرين، وعُدَّ تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها، والمرجع الأول للتفسير بالمأثور. وقد أجمع العلماء على عظيم قيمة هذا التفسير، وأنه لا غنى عنه لطالب العلم عمومًا، وطالب التفسير على وجه الخصوص؛ يقول النووي فيه:" أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري " وكما كان لهذا التفسير أوَّليَّة زمانية فقد كان له كذلك أوَّليَّة موضوعية، فهو لم يقتصر على لون واحد من التفسير، بل اشتمل على ألوان من التفسير، رفعت من شأنه، وجعلت له تلك المنزلة عند العلماء؛ فالطبري- على الرغم من اعتماده على التفسير بالمأثور أساساً-جمع إلى جانب الرواية جانب الدراية، واهتم بالقراءات القرآنية أي اهتمام، وكان له اعتناء بعرض وجوه اللغة، فضلا عن آرائه الفقهية واجتهاداته التي أودعها كتابه المذكور. إلاَّ أن السمة البارزة التي ميزت الطبري في " جامعه " ذاك المنهج العلمي الذي سلكه في التفسير؛ ف الطبري بحق كان صاحب منهج واضح.

3.2 المنهج الجامع

قد سبق الإمام الطبري الاتجاهان البارزان لتفسير القرآن الكريم ، اتجاه التفسير الأثري واتجاه التفسير اللغوي. فأصحاب التفاسير اللغوية مثل الأخفش والقراء لم يذكروا الأقوال المأثورة في التفسير إلا القليل، ومن ناحية أخرى أصحاب التفاسير الأثرية مثل السدي الكبير والأخفش لم يتعرضوا المسائل اللغوية والبيانية إلا النادر. كما أن الاتجاهين لم يقدما اجتهاداتهم واستنباطاتهم. ثم جاء الإمام الطبري جمع بين الاتجاهين الأساسين، وأضاف لهما استنباطاته وترجيحاته. فالمنهج الذي أصل فيه الطبري لعلم التفسير منهجا متفردا، الذي سماه الباحثون المعاصرون " المنهج الجامع" في التفسير، فسر القرآن الكريم كلها على أساس هذا المنهج الجامع. وبهذا كان الرائد في المنهج الجامع وصاحبه.

ثار المنهج الذي اعتمده الطبري في تفسيره خلافا بين العلماء في تصنيفه بين المفسرين بالمأثور أم بالمعقول، وحاول بعضهم التدليل على أنّ تفسير الطبري إنّما هو في الحقيقة جمع بين الاثنين ولا تناقض بينهما. حدّد الطبري في مقدمة تفسيره المنهج العام الـذي اعتمده في تأويل آي القرآن الكريم، جاء ذلك تحت عنوان: القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن، وهي عند ه ثلاثة وجوه. الوجه الأول: لا يجوز القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأويله بنصّ عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمثلة على تأويله. الوجه الثاني: ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت الساعة، والنّفخ في الصور، ونزول

عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك. الوجه الثالث: ما يعلم تأويله كّل ذي علم باللّسان الذي نزل به القرآن، وذلك بإقامة إعرابه ومعرفة المسمّيات باسمها غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصّة دون ما سواها، فإنّ ذلك لا يجهله أحد منهم. (الطبري،1977م) وعليه فإنّ الوجه الأول والثالث هما اللّذان يمكن أن يكونا مجالا للتأويل.

3.3الأسس المنهجية التي يقوم عليها المنهج الجامع للطبري

3.3.1 المنهج الأثري :تفسير القرآن بالمأثور ، حيث كان الطبري يورد الأقوال المأثورة في تفسيره ، حيث كان يعتمد الأحاديث النبوية ، أو أقوال الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين. اعتمد على المنهج الأثري. ولم يخرج في ترجيحاته عن قول الطبقات الثلاث إلا نادراً، وكان شرطه في كتابه أن لا يخرج المفسر عن أقوال هذه الطبقات الثلاث. وإن كان في بعض المواطن يقدم على الصحابة، خصوصاً فيما يتعلق بالنزول. ويقدم قول الجمهور على قول غيرهم، وقد يعدُّه إجماعاً، ويعُدُّ القول المخالف لهم شاذاً. وهذا انحياز واضح وتطرف مقيت.

المقصود بـ (المنهج الأثري):ومن المعروف أن المنهج الأثري النقلي هو المنهج الذي يفسِّر القرآن الكريم بما ورد في (الأثر = النقل)، أي بالقرآن الكريم نفسه، أو بالسنة المباركة، أو بأقوال الصحابة والتابعين، فإن لم يجد التوضيح في ذلك لجأ إلى كلام العرب حيث الشعر والنثر العربيان. ويتبيّن أنّ هناك أربعة أنواع للتفسير بالمأثور، هي:

1- تفسير القرآن بالقرآن. 2-تفسير القرآن بالسنة

3-تفسير القرآن بقول الصحابة. 4- تفسير القرآن بقول التابعين.

فالتفسير بما ورد من آثار الأقدمين من أقوال وآراء حول تبيين الآيات الكريمة. في مثل أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأقوال صحابته المرضيين وآراء التابعين لهم بإحسان . وهذا ما يسمى بالتفسير بالمأثور أو التفسير النقل .وفي هذا قد يكتفى بذكر الأثر ، مجرداً عن أي نقد أو بيان.

3.3.2 المنهج الاجتهادي

يبرز الاجتهاد بالرأي بجلاء ملامح الشخصيّة العلميّة عند الطبري وأهمّ مميّزاتها، فلئن كان في المجال الأول يعتمد أساسا على المأثور والمجهود المبذول في أقصى الحالات هو تفحص صحة الروايات من عدمها، فإنّ في المجال الثاني اعتمد أساسا على النظر و الاجتهاد في استنباط المعاني ونقد الآثار والترجيح بينها.وللاجتهاد في التفسير أسس ودعائم ترسو عليها قواعده وتبتنى أصوله .والتفسير يرتفع في أصوله إلى زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيثُ كان الصحابة ربما أشكل عليهم فهم آية فيراجعون النبي ويسألونه الإيضاح و التبيين ، فيجيبهم عليه حسب وظيفته الرسالية في تبيين مفاهيم القرآن. قال تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النمل:44]. ليكون ذلك ذريعة إلى مزاولة همهم و فكرتهم هم في استخراج معانيه و البسط فيها. ومما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المعنى المراد من الآية ، ما جاء سؤالاً عن "السائحين" في قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ

الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ ﴾ [التوبة :112]، حيثُ وقع هذا الوصف مدحاً يزاوله المؤمنون. فقال رسول صلى الله عليه وسلم: "هم الصائمون" .ولم يعتمد على منهج الرأي، وذكر من تُرضى روايتهم ومن لا تُرضى في التفسير. ثم ذكر القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآياته.

3.3.3 المنهج اللغوي

اللغة من أهمّ ما استعمله ابن جرير للترجيح بين أقوال المفسرين، وذلك انسجاماً مع حقيقة أنّ القرآن نزل بلسان عربيّ مبين، ولا يصحّ فهمه إلا وفق كلام العرب ولغتهم .والقاعدة التي يؤكّد عليها أنّ القرآن إنما ينبغي أن يفسّر على الأغلب من كلام العرب فيقول: "وكتاب االله يوجه تأويله إلى الأغلب من كلام من نزل بلسانه حتى يدلّ على غير ذلك دليل يجب التسليم له".(الطبري،ص.173)

:اعتمد الطبري النظر إلى صحة المعنى المفسّرِ به، وإلى توافقه مع السياق، وقد كان هذا هو المنهج العامّ في تفسيره، وكان يعتمد على صحة المعنى في الترجيح بين الأقوال. منها: اللغة التي نزل بها القرآن والأحرف السبعة، والمعرب، وطرق التفسير وقد عنون لها بقوله: (القول في الوجوه التي من قِبَلِها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن). لكنه لا يقبل أقوال اللغويين المخالفة لأقوال السلف، ولو كان لها وجه صحيح في المعنى.

لقد كانت اللغة حاضرة في تفسير ابن جرير بشكل يدلل على تمكنه منها، مع أنه فارسي الأصل، فوجد الباحث له باعاً في علم اللغة والإعراب، والشعر والمفردات، ومثال ذلك:

3.3.3.1 علم اللغة:

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ [الكهف:95] قال ابن جرير، قال: برجال ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْما﴾ وقال ما مكني، فأدغم إحدى النونين في الأخرى، وإنما هو ما مكنني فيه."، وهذه –مكنني- بالنونين قراءة صحيحة "قرأ المكي بنونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة مخففة وغيره بنون واحدة مشددة مكسورة".(عبد الفتاح،1998م،ص243)

3.3.3.2 الإعراب:

جاء الإعراب في سورة الإسراء ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الإسراء:9] عن ابن جرير﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرا كَبِيرا﴾ قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير، أجر كريم، ورزق كريم فهو الجنة، وأن في قوله : (أَنَّ لَهُمْ أَجْرا كَبِيرا) نصب بوقوع البشارة عليها وأن الثانية معطوفة عليها".(الطبري،ص61)

3.3.3.3 الشعر:

يُورد ابن جرير الطبري الشعر كثيرا ليستدل به على النحو، ومن ذلك :يقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:88] فقال: .. وقوله عزّ وجلّ(لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) رفع، وهو جواب لقوله «لئن»، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها، لأن «لئن» كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع، وربما جزم لأن التي يجاب بها زيدت عليه لام، كما قال الأعشى:

لَئِنْ مُنِيتَ بِنا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ # لا تُلْفنا عَنْ دِماءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ (الطبري،ص61)

3.3.3.4 المفردات:

وبيان المفردات له أوفر الحظ والنصيب عند الإمام الطبري مثل: قوله تعالى﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:100] فقال الطبري: (وكانَ الإنْسانُ قَتُورا) قال: بخيلاً."(الطبري،ص72)

هذه الأسس الثلاثة (اللغة والأثر والاستنباط) هى التي اصل بها الإمام الطبري دعائم منهجه الأصيل الفريد (المنهج الجامع في ففسير القرآن الكريم). وهو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناءً على خلافٍ في القراءة أو اختلاف في التأويل، ثم يعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى فينهج نفس النهج: عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجِّحًا."

فالطبري اعتمد أساساً على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صحابته الكرام، أو التابعين؛ وهو لا يكتفي بذلك، بل نجده يشدد النكير على من يفسر القرآن بمجرد الرأي فحسب. ولا يُفهم من هذا النهج أن الطبري لم يكن يُعمل الرأي في تفسيره، بل الواقع خلاف ذلك، إذ إننا كثيرًا ما نجده يُرجِّح أو يصوب أو يوجِّه قولاً لدليل معتبر لديه.(حسين الذهبي،1976م)

الخاتمة ونتائج البحث :

بعد تناول دراسة منهج الإمام الطبري في تفسير القرآن الكريم يمكن الإشارة بإيجاز إلى النتائج التالية:

– يعتبر ابن جرير الطبري من الأئمة الأعلام الذين برعوا في علوم كثيرة، وتركوا تراثاً إسلامياً ضخماً تناقلته العصور والأجيال، وقد أحرز شهرة واسعة بكتابه في التفسير، جامع البيان في تفسير القرآن. يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير بالمأثور.

– قد جمع الإمام الطبري اتجاه التفسير الأثري واتجاه التفسير اللغوي، وأضاف لهما استنباطاته وترجيحاته. فأصل فيه الطبري منهجا متفردا، الذي سماه الباحثون المعاصرون "المنهج الجامع" في التفسير.

.– اعتمد الطبري النظر إلى صحة المعنى المفسَّرِ به، وإلى تلاؤمه مع السياق، وقد كان هذا هو المنهج العامَّ في تفسيره ، وكان يعتمد على صحة المعنى في الترجيح بين الأقوال .

– إن السمة البارزة التي ميزت الطبري في هو منهج واضح. فكانت بداية مرحلة أساسيّة في بروز ملامح التفسير كعلم.

– ساهم تفسير الطبري في إرساء أسس النظر الفكري في الموروثات والآثار التي يعتمدها التفسير بالمأثور، وتبعا لهذا المجهود بدأت أسس اعتماد التفسير بالرأي تتّسع وتتعاظم.

وفي ختام هذا البحث فإنني أشكر االله شكرا يليق بجلاله، وأحمده حمد المعظم لكماله .معترفا بعجزي و تقصيري في سؤاله. طامعا طمعا لا غنى لي به عنه في نواله.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس. (1408هـ)*مجموع الفتاوى الكبرى*.(ط1، ج13) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن خلقان، أحمد بن محمد بن أبو بكر. (1948م) *وفيات الأعيان* (ج2) القاهرة، مصر: دار المأمون.
- البغدادي، الخطيب. (1967م) *تاريخ بغداد*.(ط1) القاهرة، مصر: مطبعة بولاق.
- الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن. (1988م)*سنن الدارمي*(ط1) عمان: دار البشائر الإسلامية.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله.(1978م) *سير أعلام النبلاء*.(ج 14) بيروت، لبنان: بيت الأفكار الدولية
- الذهبي، محمد حسين. *التفسير والمفسرون*. (1976م) القاهرة، مصر: دار الكتب الحديثة.

- الزحيلي، الدكتور محمد. (1999م) *الإمام الطبري شيخ المفسرين* (ط.2) دمشق، سوريا: دار القلم .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2014م) *طبقات المفسرين*.(ج2) الرياض، السعودية: مكتبة الرياض الحديثة.
- سلقيني، الدكتور إبراهيم محمد وآخرون. (2001م) *الامام الطبري*(ط.1). بيروت، لبنان: دار التقريب.
- العماد العكري، عبد الحي بن أحمد. (1986م) *شذرات الذهب* (ط.1،ج.1) بيروت، لبنان: دار ابن كثير.
- النووي، أبو زكريا محي الدين يحي بن الشرف. (2002م) *تهذيب الأسماء واللغات*.(ط3،ج1) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن. (1982م) *إنباه الرواة على أنباء النحاة*.(ط1،ج3) القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- السبحاني، الشيخ جعفر. (2014م) المناهج التفسيرية في علوم القرآن. قم، إيران: مؤسسة الإمام الصادق.
- الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير.(1977م)*جامع البيان عن تفسير آي القرآن*.(ط2،ج11،14،10،12،،8) القاهرة، مصر: مطبعة عيسى الحلبي.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (1407ه) *فتح الباري شرح البخاري*(ط1) الرياض، السعودية: دار الكتب
- عبد الفتاح القاضي. (1998م) *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة* .(ط1) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي .
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله. (1993م) *معجم الأدباء*،(ط.2،ج.4) بيروت، لبنان: دار صادر.